التكامل المعرفي بين اللغة العربية وعلوم الشريعة "التفسير البسيط للواحدي أنموذجاً"

عبد الله قاسم راشد علي المسوري
جامعة محمد الخامس (المغرب)

"Cognitive Integration between the Arabic Language and Islamic Sciences: A Simple Interpretation of Al-Wahidi as a Model"

ABDULLAH QASSEM RASHID ALI ALMASWARi
abdalah.almasware@gmail.com

تاريخ الاستلام: 25 / 08 /2025 تاريخ القبول: 22 / 09 / 2025 تاريخ النشر: 01 / 12 / 2025

ملخص:

يتناول هذا البحث موضوع "التكامل المعرفي بين علوم اللغة العربية وعلوم الشريعة في التفسير: التفسير البسيط للواحدي أنموذجًا"، ويهدف إلى تحليل مفهوم التكامل بين هذه العلوم في مجال التفسير، من خلال دراسة تفسير الإمام الواحدي "البسيط"، باعتباره نموذجًا تراثيًا غنيًا تلتقي فيه المعارف اللغوية والشرعية.

وتتمثل إشكالية البحث في بيان كيف وظّف الواحدي علوم اللغة من نحو وبلاغة ودلالة، إلى جانب أصول الفقه وعلم القراءات، في بناء منهجه التفسيري، وما مدى حضور هذا التكامل في تفسيره للآيات.

وقد اعتمد البحث على المنهج الاستقرائي التحليلي المقارن، حيث يقوم الباحث باستقراء نصوص المفسر التي يظهر فيها التكامل المعرفي بين التفسير وعلوم أخرى، واستعرض نماذج تطبيقية توضح آليات هذا التكامل.

وتكمن أهمية البحث في كونه يسهم في إبراز القيمة العلمية للتفسير "البسيط"، ويوفر مرجعًا مفيدًا للمتخصصين في التفسير من طلاب العلم والباحثين، لما فيه من منهجية تفسيرية تجمع بين أدوات العلوم الإسلامية واللغوية في معالجة نصوص الكتاب العزيز، بما يفتح آفاقًا لتوظيف هذا المنهج في مشاريع تفسيرية معاصرة.

الكلمات المفتاحية: التكامل المعرفي، التفسير، الواحدي، علوم اللغة، علوم الشريعة، التفسير البسيط.

Abstract:

This study explores the theme of "Epistemological Integration between Arabic Linguistic Sciences and Islamic Shari'ah Sciences in Tafsir: Al-Wahidi's Al-Basit as a Model." It aims to analyze the concept of integration between these fields within the realm of Quranic interpretation, through an in-depth examination of Imam Al-Wahidi's exegesis Al-Basit, which stands as a rich classical example where linguistic and Islamic disciplines converge.

The central research question focuses on how Al-Wahidi employed linguistic sciences—such as grammar, rhetoric, and semantics—alongside the principles of Islamic jurisprudence and Qur'anic recitations, to

construct his exegetical methodology. It also investigates the extent to which this integrative approach is reflected in his interpretation of Qur'anic verses.

The study adopts a comparative, analytical, and inductive methodology, by identifying and analyzing textual instances in which Al-Wahidi's interpretation demonstrates interdisciplinary integration. Practical examples are presented to illustrate the mechanisms of this synthesis.

The significance of the research lies in its contribution to highlighting the scholarly value of Al-Basit, and in providing a valuable reference for students and researchers in the field of Tafsir. The work showcases a methodological model that combines linguistic and Islamic tools in interpreting the Qur'an, offering insights that can inspire contemporary exegetical projects.

Keywords: Epistemological Integration, Tafsir, Al-Wahidi, Linguistic Sciences, Shari'ah Sciences, Al-Basit.

المقدمة:

يُعدُّ التكامل المعرفي بين علوم اللغة العربية وعلوم الشريعة من أبرز خصائص الفكر الإسلامي الكلاسيكي، وقد تجلّى هذا التكامل بوضوح في مؤلفات التفسير، ولا سيما في المصنفات الموسوعية التي كانت تُعالج الآيات القرآنية من زوايا لغوية وشرعية متعددة. وتفسير "البسيط" للإمام الواحدي (ت468هـ) يُعدُّ من أبرز هذه التفاسير التي جمعت بين علوم النحو، والبلاغة، والدلالة، وأصول الفقه، والقراءات، ليشكّل بذلك نموذجًا حيًّا على التداخل البنّاء بين علوم اللغة وعلوم الشريعة.

ويأتي هذا البحث ليعيد النظر في هذا التداخل، من خلال دراسة تطبيقية تحليلية لنماذج مختارة من تفسير "البسيط"، بهدف الكشف عن آليات التكامل المعرفي ومظاهره في النص التفسيري، واستجلاء الدور الذي لعبته علوم اللغة في توجيه المعاني الشرعية، والدور الذي لعبته علوم الشريعة في دعم الفهم اللغوي للنص القرآني.

وقد نبّه عدد من العلماء إلى أهمية هذا التكامل، من ذلك ما قرره الزركشي في "البرهان في علوم القرآن"، حيث أشار إلى أنّ علم التفسير يحتاج إلى جملة من العلوم، منها النحو واللغة والبيان فقال:" إنما يفهم بعض معانيه ويطلع على أسراره ومبانيه من قوي نظره واتسع مجاله في الفكر وتدبره وامتد باعه ووقت طباعه وامتد في فنون الأدب وأحتط بلغة العرب "[1]. مما يبرز ضرورة دمج هذه العلوم عند التعامل مع القرآن الكريم.

وقد ذكر د. الطيب صفية أن هناك علاقة وطيدة بين علم المناسبات وعلم التفسير فقال : " إذا كان التفسير بيان معاني كلام الله، فإن علم المناسبات يكمل علم التفسير فيكشف عن أسرار تلك المعاني، وهي المكتنزات في الترتيبات والروابط، فتكون منزلة علم المناسبة من علم التفسير بمنزلة الروح من الجسد"[2].

إشكالية البحث وتساؤلاته:

تكمن إشكالية هذا البحث في السؤال الآتي:

كيف تجلى التكامل المعرفي بين علوم اللغة العربية وعلوم الشريعة الإسلامية في تفسير البسيط للواحدي، وما أبرز النماذج التطبيقية التي توضح هذا التداخل المنهجي؟

وينبثق عنه عدد من التساؤلات الفرعية، منها:

كيف أسهمت علوم اللغة (النحو، البلاغة، الدلالة) في بناء المعنى التفسيري لدى الواحدي؟
ما مظاهر حضور العلوم الشرعية، خاصة أصول الفقه والقراءات، في التفسير؟
ما الخصائص المنهجية التي ميّزت هذا التكامل في تفسير الواحدي؟

أهداف البحث:

يسعى هذا البحث إلى:

1. بيان مفهوم التكامل المعرفي وضبطه.
2. تتبع العلاقة بين علوم اللغة العربية وعلوم الشريعة كما تجلّت في التفسير البسيط.
3. تحليل النماذج التطبيقية في تفسير البسيط التي تُظهر التكامل المعرفي.

أهمية البحث:

تكمن أهمية هذا البحث في كونه يتناول موضوعًا يجمع بين التحليل اللغوي والشرعي في النص التفسيري، ويبرز نموذجًا مغمورًا من التفاسير الموسوعية، لم يحظَ بدراسة وافية، وهو تفسير "البسيط". كما أن البحث يُسهم في تنشيط المقاربة التكامليّة، التي دعا إليها عدد من الباحثين المعاصرين.

روى البيهقي في الشعب عن مالك قال: "لا أوتي برجل غير عالم بلغة العرب يفسر كتاب الله إلا جعلته نكالا"[3].

ولا يُقصد بمفهوم التكامل هنا اندماج أحد العلمين في الآخر إلى حدٍّ يفضي إلى انصهاره فيه وفقدانه لخصوصيته المنهجية والمعرفية، يقول طه حسين: " إن التداخل على ضربين: أحهما ابتذالي يصير المبحث العلمي بمقتضاه قابلاً للاندماج في أي علم من العلوم فتنمحي بذلك خصوصيته العلمية، والثاني إجرائي يقبل المبحث العلمي بمقتضاه الاندماج في جملة مخصوصة من العلوم دون غيرها"[4].

منهج البحث:

يعتمد هذا البحث على المنهج الاستقرائي التحليلي المقارن، حيث يقوم الباحث باستقراء نصوص المفسر التي يظهر فيها التكامل المعرفي بين التفسير وعلوم أخرى، ثم تحليلها وبيان أبعاد هذا التكامل، مع إجراء مقارنات عند تعدد الأقوال أو القراءات، لاستخلاص الأوجه العلمية المؤثرة في بناء المعنى التفسيري.

خطة البحث:

اقتضت طبيعة الدراسة والمنهج المتبع فيها أن ينتظم عقد هذا البحث في مقدمة، وثلاثة مباحث رئيسة، وخاتمة، وذلك تفصيلاً على النحو الآتي:

- **المقدمة:** وتناولت مدخلًا للموضوع، ومشكلة البحث وتساؤلاته، وأهدافه، وأهميته، والمنهج المتبع فيه.
- **المبحث الأول:** جاء بعنوان **"الأسس النظرية والتاريخية للتكامل المعرفي بين علوم اللغة وعلوم الشريعة"**، وانقسم إلى أربعة مطالب:
  - المطلب الأول: مفهوم التكامل المعرفي.
  - المطلب الثاني: نشأة العلاقة بين علوم اللغة وعلوم الشريعة.
  - المطلب الثالث: ملامح التكامل في التراث التفسيري.
  - المطلب الرابع: نبذة عن الإمام الواحدي وتفسيره البسيط.

- **المبحث الثاني:** وُسم بـ **"تحليل النماذج التطبيقية من تفسير البسيط للواحدي"**، واشتمل على خمسة مطالب تطبيقية:
  - المطلب الأول: التكامل بين النحو والتفسير.
  - المطلب الثاني: التكامل بين البلاغة والتفسير.
  - المطلب الثالث: التكامل بين علم المعاني والدلالة والتفسير.
  - المطلب الرابع: التكامل بين أصول الفقه والتفسير.
  - المطلب الخامس: التكامل بين علم القراءات والتفسير.
- **المبحث الثالث:** خُصص لبيان **"خصائص التكامل المعرفي في تفسير البسيط"**.
- **الخاتمة:** وقد تضمنت أهم النتائج التي توصل إليها البحث، وأبرز التوصيات المقترحة.

المبحث الأول

الأسس النظرية والتاريخية للتكامل المعرفي بين علوم اللغة وعلوم الشريعة

المطلب الأول: مفهوم التكامل المعرفي.

أولاً: تعريف التكامل المعرفي.

التكامل لغة:

التكامل مشتق من الفعل الثلاثي المجرد " كل"، قال ابن منظور: كمل الكمال: التمام، وقيل التمام الذي تجزأ منه أجزاؤه... وأكملت الشيء: أي أجملته وأتممته... وكمله: أتمه وجمله)[5].

الكمالُ: "التَّمامُ، وأَكْمَلَه واسْتَكْمَلَهُ وكمَّلَهُ: أَتَمَّهُ وجَمَّلَهُ"[6].

وفي القرآن الكريم يقول سبحانه: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي﴾ المائدة (3).

"أي الآن أكملْت لكم الدين بأن كَفَيتكم خَوف عَدوكم وأظهرتكم عليهم، كما تقول: الآن كَمُلَ لَنَا الملكُ وكملَ لَنَا ما نريد، بأن كفينا مَنْ كنا نَخافه"[7].

اصطلاحاً: يُعرّف التكامل المعرفي بأنه:

عملية الربط المنهجي المنظم بين المعارف والعلوم المختلفة، سواء أكانت من العلوم الإنسانية أم الطبيعية أم الشرعية، بهدف بناء رؤية معرفية شاملة ومتماسكة للكون والإنسان والحياة، تُسهم في تقديم فهم أعمق وأدق للواقع، وتُوجّه المعرفة لخدمة الإنسان وعمارة الأرض، في إطار منسجم مع القيم العليا والمقاصد الكلية للشريعة الإسلامية.

ويُعد هذا المفهوم من المبادئ المركزية في بناء نسق معرفي إسلامي معاصر، يقوم على تجاوز التجزئة والانفصال بين التخصصات، دون إلغاء لخصوصية كل علم أو تجاهل لمنهجيته.

وقد أشار إلى هذا المعنى عدد من المفكرين والباحثين، منهم:

1. فتيح حسن ملكاوي، حيث يؤكد أن التكامل المعرفي هو:

"حالة من الانسجام والتفاعل الإيجابي بين المعارف المتنوعة؛ بهدف بناء نسق معرفي شامل ومترابط يتكئ على مرجعية قيمية موحدة"[8].

2. ويُعرفه عبد المجيد النجار بأنه: "منهج يُعنى بوصل العلوم بعضها ببعض وتفعيل الصلات بينها، لإنتاج معرفة مركبة وفاعلة قادرة على معالجة مشكلات الواقع المعقدة"[9].

3. كما يؤكد عبد الحميد أبو سليمان على أن التكامل المعرفي يمثل ضرورة في سبيل تجاوز أزمة العقل المسلم، داعيًا إلى: "إعادة بناء المعرفة على أساس تكاملي يحترم خصوصية كل علم، مع استثمارها جميعًا في إطار مقاصدي شمولي"[10].

❖ يتضح من خلال ما سبق أن التكامل المعرفي لا يهدف إلى إلغاء التخصصات، بل إلى تجاوز الانفصام بين مجالات المعرفة، بما يعزز من القدرة على فهم الظواهر المعقدة في الواقع، ويُعيد للمعرفة دورها في بناء الإنسان والمجتمع ضمن أطر القيم والمقاصد الإسلامية.

المطلب الثاني: نشأة العلاقة بين علوم اللغة وعلوم الشريعة:

أدخل نشأت العلاقة بين علوم اللغة وعلوم الشريعة منذ البواكير الأولى للتدوين العلمي في الإسلام. فقد بدأت علوم اللغة خدمةً للقرآن الكريم، حماية له من اللحن والتحريف، كما في تأسيس علم النحو على يد أبي الأسود الدؤلي، بأمر من علي بن أبي طالب، كما ترويه كتب التراث اللغوي"[11].

وقد سار علماء الشريعة في ذات المسار، فلم يكن الشافعي مثلاً فقيهًا فحسب، بل كان عالمًا بالنحو واللغة، كما يتبين من رسالته، إذ قال: " والقُرآن يدل على أنْ ليس من كتاب الله شيء إلا بلسان العرب "[12]. مما يدل على وعيه بأهمية اللغة في استخراج الأحكام. وكذلك كان علماء الأصول يعُدّون اللغة من المباحث الأساسية، كما في كتب الجويني والغزالي والآمدي.

وعلى هذا الأساس، لم تكن علوم اللغة والشريعة منفصلة في تكوين العالم المسلم، بل كان الجمع بينهما هو السمة الغالبة، لأن فهم النصوص الإلهية يقتضي ملكة لغوية وفقهية معًا.

المطلب الثالث: ملامح التكامل في التراث التفسيري.

برز التكامل المعرفي بوضوح في المؤلفات التفسيرية، وخصوصًا عند علماء أعلام من أمثال الطبري، والزمخشري، والرازي، والواحدي. فقد وظّف الطبري في «جامع البيان» علوم اللغة والإجماع والاختلاف الفقهي، بينما جعل الزمخشري في «الكشاف» البلاغةَ عمادًا في التفسير.

أما الرازي، فقد جمع بين الكلام والفلسفة والتفسير في «مفاتيح الغيب»، واستحضر أدوات النحو والبلاغة والمنطق، مما يدل على إدراكه للبنية المعرفية المتشابكة في القرآن.

وبهذا يظهر أن علماء التفسير لم يتعاملوا مع القرآن تعاملاً أحادي البُعد، بل مارسوا مقاربة تكاملية مبنية على تفاعل العلم اللغوي بالعلم الشرعي، وهو ما يجعل التفسير في ذاته مجالًا تطبيقيًا لهذا التكامل.

المطلب الرابع: نبذة عن الإمام الواحدي وتفسيره البسيط

أبو الحسن علي بن أحمد بن محمد الواحدي النيسابوري (ت468هـ)، هو أحد كبار المفسرين في القرن الخامس الهجري، تميّز بسعة اطلاعه على علوم اللغة، واشتغاله بالشعر والبلاغة، إضافة إلى تخصصه في التفسير. يُعد تفسيره "البسيط" من أضخم التفاسير الموسوعية التي وصلت إلينا، وقد جمع فيه بين التفسير اللغوي والتحليلي والفقهي.

وقد أشار ابن خلكان إلى أنه "كان أوحد أهل عصره في التفسير واللغة والمعاني"[13]. بينما وصفه السمعاني بأنه "متفنن في العلوم"[14].

أما تفسيره "البسيط"، فهو تفسير موسوعي في خمسة وعشرين مجلدًا، شرع فيه بعد إنجازه لتفسيريه السابقين: "الوسيط" و"الوجيز"، وهو آخرها تأليفًا، وأوسعها مادةً. وقد اعتمد فيه الواحدي على أقوال السلف، والتحليل النحوي، والقراءات، والبلاغة، وتوجيه الألفاظ، مما يجعله نموذجًا تطبيقيًا بالغ الثراء للتكامل المعرفي.

المبحث الثاني

تحليل النماذج التطبيقية من تفسير البسيط للواحدي

المطلب الأول: التكامل بين النحو والتفسير في تفسير البسيط

يتّضح من خلال تتبع تفسير البسيط أن الواحدي يُولي عناية بالغة للتحليل النحوي، ويجعله ركيزة أساسية لفهم الآيات وتوجيه المعاني. فالنحو عنده ليس غاية مستقلة، بل أداة لفهم مراد الله تعالى، وتحقيق الانضباط في التفسير.

كما يُعتبر علم النحو من العلوم الأساسية التي يُبنى عليها فهم النص القرآني تفسيرًا، وذلك بسبب اعتماده على قواعد ضبط المعنى ودلالته. وقد أدرك الإمام الواحدي أهمية النحو في تفسير القرآن، فقام بتوظيفه لتبيان المعاني الدقيقة للآيات، وتصحيح الفهم، وتوضيح الإعجاز اللغوي. في هذا المبحث سنعرض بعض النماذج التطبيقية التي توضح التكامل بين النحو والتفسير في البسيط:

النموذج الأول: قوله تعالى:

{وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً} [البقرة: 30]

يقول: "فإن قيل: إذا كانت (إذ) لما مضى، فكيف جاز {وإذ قال الله يا عيسى ابن مريم}، {وإذ يتحاجون في النار}؟

والجواب أن هذا خرج على تقدير الاستقبال في المعنى، وفي اللفظ على صورة المضي، لأن ما تحقق كونه فهو بمنزلة ما قد كان"[15].

وهنا ناقش الواحدي دلالة (إذ) باعتبارها ظرفًا لما مضى، ولكن أحيانًا تأتي مع أفعال تدل على المستقبل، مثل: {وإذ يتحاجون في النار}.

وفسر الواحدي هذا الاستخدام على أن الفعل مستقبل في المعنى، ولكنه أُخرج بصيغة الماضي لتحققه وثبوته، وهو ما يعرف في البلاغة بـ"تحقيق الوقوع"، أي أن ما سيتحقق لا محالة يصاغ بصيغة الماضي للدلالة على التحقق واليقين.

وقد جمع الواحدي في هذا الموضع بين:

التحليل النحوي لدلالة (إذ) وأوجه استخدامها.

والتفسير البلاغي القرآني الذي يعلل سبب استعمال الماضي في موضع الاستقبال، لإفادة التحقق واليقين.

النموذج الثاني: قوله تعالى:

قول الحق سبحانه: ﴿لِكُلِّ نَبَإٍ مُسْتَقَرٌّ وَسَوْفَ تَعْلَمُونَ﴾ الأنعام (67).

"المخرج بمعنى: الإدخال والإخراج كقول الشاعر: (إنَّ المُوَقَّ مِثلُ مَا وُقِّيتُ)"[16].

يعني: التوقية، قال المفسرون: (يقول: لكل خبر يخبره الله وقت ومكان يقع فيه من غير خلف ولا تأخير"[17].

{لكل نبإ مستقر} استشهد بالشعر لدعم المعنى التفسيري، حيث أورد قول الشاعر: " إنَّ المُوَقَّ مِثلُ مَا وُقِّيتُ"، مستدلًا به على جواز تأويل "المستقر" بأنه مصدر لا اسم مكان، وهو ما يدخل في باب الاحتجاج النحوي بالشعر لإثبات المعاني التركيبية في القرآن الكريم، مما يعكس استخدام الواحدي للقاعدة النحوية في تأييد التفسير وتعزيزه.

المطلب الثاني: التكامل بين البلاغة والتفسير في تفسير البسيط

تمثل البلاغة أحد المفاتيح المركزية التي استثمرها الإمام الواحدي في تفسيره، ولا سيما في ربط المعنى القرآني بمقاصده البيانية والجمالية، مما يدلّ على وعي عميق بوظيفة البلاغة في بيان إعجاز القرآن الكريم، وقدرته على التأثير والإقناع.

ويُعد علم البلاغة الركيزة الأساسية لفهم بلاغة القرآن الكريم وجمالياته، حيث يفسر دلالات الصور الفنية، الإعجاز اللغوي، أساليب البيان، وأثرها في مخاطبة القلوب والعقول. وكان الإمام الواحدي في تفسيره البسيط متبحرًا في توظيف البلاغة لتفسير الآيات، مستعرضًا أساليب القرآن المختلفة.

كما نجد حضورًا واضحًا للبلاغة بأنواعها: من معاني، وبيان، وبديع، وهو ما يظهر في الأمثلة التطبيقية التالية:

النموذج الأول: قوله تعالى:

قَالَ اللَّهُ جَلَّ فِي عُلاه: ﴿هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ لِتَسْكُنُوا فِيهِ وَالنَّهَارَ مُبْصِراً إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَسْمَعُونَ﴾ يونس (67).

قال الواحدي " {لِتَسْكُنُوا فِيهِ}، قال ابن عباس: يقول جعلت الليل راحة لكم لتسكنوا فيه مع أزواجكم وأولادكم"[18].

وقال أهل المعاني: " جعل الليل ليزول التعب والكلال بالسكون فيه، وجعل النهار مبصرا أي مضيئا لتهتدوا به في حوائجكم بالإبصار، والمبصر الذي يبصر، والنهار يبصر فيه، وإنما جعله مبصرا على طريق نقل الاسم من السبب إلى المسبب"[19].

كما قال جرير:

"لقد لمتنا يَا أم غيلَان بالسرى ... ونمت وَمَا ليل الْمطِي بنائم"[20].

وهنا يتجلى التكامل بين البلاغة والتفسير عند الواحدي في تفسيره لقوله تعالى:

{لِتَسْكُنُوا فِيهِ}، من خلال توظيفه للمباحث البلاغية – وخاصة الاستعارة – في تعزيز المعنى التفسيري وتدعيم المقصود من الآية، وذلك في المواضع الآتية:

أولاً: "وجعل النهار مبصرًا"

بيّن أن التعبير "مبصرًا" ليس على الحقيقة – فالنهار لا يبصر – وإنما هو:

استعارة لصفة الفاعل (الإبصار) لسبب الفعل (النهار)، أي أن النهار هو سبب الإبصار، فاستعيرت له صفة المبصر للمبالغة في إيضاح أثره في حياة الإنسان.

وهذا الأسلوب يُعرف عند البلاغيين باستعارة الصفة لسببها، وهو نمط دقيق من التراكيب المجازية يبرز بلاغة النص القرآني، ويُظهر دقة التعبير وجماله.

ثانياً: التمثيل الشعري دعماً للمعنى البلاغي

استشهد الواحدي ببيت جرير:

لقد لمتنا يَا أم غيلَان بالسرى...

وفيه تصوير الليل بصفة "النوم" وهو لا ينام، فكان هذا مثالاً على استعارة الصفة للملابسة أو التأثير، مما يعزز شرحه للاستعارة في قوله تعالى: {وجعل النهار مبصرًا}.

النموذج الثاني: قوله تعالى:

{مَّثَلُ الَّذِينَ حُمِّلُوا التَّوْرَاةَ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا كَمَثَلِ الْحِمَارِ} [الجمعة: 5].

يتجلى في هذا الموضع من التفسير أحد أبرز مظاهر التكامل المعرفي بين علمي البلاغة والتفسير، وذلك من خلال استحضار الواحدي للأدوات البلاغية في بيان المعاني القرآنية وتفصيل دلالاتها التعبيرية.

صرّح الواحدي بوجه بلاغي أول، يتمثل في التشبيه التمثيلي الوارد في قوله تعالى:

{كَمَثَلِ الْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًا}، إذ قال موضحًا: "شبه اليهود إذا لم ينتفعوا بما في التوراة وهي دالة على الإيمان بمحمد صلى الله عليه وسلم بالحمار يحمل كتب العلم ولا يدري ما فيها"[21].

وهذا التقرير يُعدّ بيانًا دقيقًا لصورة تمثيلية تهدف إلى تصوير الانفصام بين حمل المعرفة والعمل بها، وقد استخدم القرآن فيها صورة حسية (الحمار الذي يحمل كتبًا لا يفقهها) لتجسيد حال عقلية ومعنوية (اليهود الذين يحملون التوراة ولا يعملون بمقتضاها). وبهذا يوظف المفسر الآلية البلاغية (التشبيه التمثيلي) لفهم البنية التصويرية في النص القرآني وتجلية أبعادها التفسيرية.

كما يُبرزوجهًا بلاغيًا ثانيًا يتعلق بالإيجاز بالحذف، في معرض تفسيره لقوله تعالى:

{بِئْسَ مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِ اللَّهِ}، إذ قال: "أي: بئس مثل القوم مثل الذين كذبوا كما قال: {سَاءَ مَثَلًا الْقَوْمُ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا}، أي: مثل القوم الذين، فيكون المضاف محذوفًا، ويكون موضع {الَّذِينَ} رفعًا، ويجوز أن يكون موضع {الَّذِينَ} جرًا، والمقصود بالذم محذوف كما كان محذوفًا من قوله تعالى: {نِعْمَ الْعَبْدُ إِنَّهُ أَوَّابٌ}، ولم يذكر أيوب لتقدم ذكره"[22].

وهذا يدل على وعي نحوي بلاغي دقيق، حيث يدرك الواحدي أن الحذف ليس مجرد اقتصار لفظي، بل هو أسلوب بلاغي مقصود في القرآن الكريم، يرمي إلى الاختصار والتكثيف، مع المحافظة على وضوح الدلالة.

يتبيّن من ذلك أن الواحدي يُقحم المعايير البلاغية في صلب العمل التفسيري، فيستعين بالتشبيه لتحليل الصورة البيانية، وبالحذف لبيان التركيب النحوي والبلاغي، مما يكشف عن وعيه بأن المعنى القرآني لا يُفهم على وجهه إلا بدمج أدوات البلاغة في آلية الفهم والتأويل.

وعليه، فإن هذا الموضع من التفسير يُعد أنموذجًا دقيقًا لما يمكن تسميته بـ"التفسير البلاغي"، الذي تُفهم فيه دلالات القرآن في ضوء خصائصه التعبيرية، ويُمثّل هذا التكامل بين البلاغة والتفسير أداة معرفية تُثري الفهم القرآني وتضيء أبعاده الدلالية.

النموذج الثاني: قوله تعالى:

قَالَ سُبْحَانَهُ: ﴿فَذَكِّرْ إِنْ نَفَعَتِ الذِّكْرَىٰ﴾ الأعلى (9).

في هذا الموضع من التفسير، يذكر الواحدي نص بلاغي صريح، يتمثل في الحذف البلاغي أو ما يُعرف بالإيجاز بالحذف، وهو وجه من أوجه البلاغة التي يعتمد عليها القرآن الكريم في أداء المعنى بأوجز لفظ.

"فنصّ على ذكر إحدى الحالتين، وهو مضمنة بالحالة الثانية، على معنى: إن نفعت الذكرى أو لم تنفع،... ولم تذكر الحالة الثانية، كقوله: {سَرَابِيلَ تَقِيكُمُ الْحَرَّ}"[23].

في هذا النص، يشير الواحدي إلى أن الآية الكريمة: {فَذَكِّرْ إِنْ نَفَعَتِ الذِّكْرَى} تضمنت إيجازًا بلاغيًا بالحذف، حيث ذُكرت حالة واحدة (نفع الذكرى)، بينما حُذفت الحالة الأخرى (عدم نفعها) لدلالة السياق عليها، كما في قوله تعالى: {سَرَابِيلَ تَقِيكُمُ الْحَرَّ}، مع أن المقصود أيضًا أنها تقي البرد، ولكن لم يُذكر ذلك اختصارًا وإيجازًا.

وهذا التحليل من الواحدي يُعد شاهدًا واضحًا على تكامل علم التفسير مع علم البلاغة؛ حيث لم يقتصر في تفسيره على المعنى الظاهري للآية، بل استثمر القاعدة البلاغية في الحذف لفهم المعنى القرآني على وجه أتم.

المطلب الثالث: التكامل بين علم المعاني والدلالة والتفسير في تفسير البسيط

يمثّل علم المعاني ركيزة مركزية في البلاغة القرآنية، إذ يعالج مقاصد المتكلم وسياقات الخطاب، ولا سيما من خلال مباحث الخبر والإنشاء، والتقديم والتأخير، والحذف والذكر، والإيجاز والإطناب، وغير ذلك. أما علم الدلالة، فيُعنى بالكشف عن المعنى من خلال بنية اللفظ وتاريخ الاستعمال. وهو علم ضروري لفك رموز النص القرآني واستنباط معانيه الدقيقة. وقد تداخل هذان العِلمان في تفسير البسيط، حيث أفاد الواحدي من أدواتهما لفهم دقيق ومتكامل للنص القرآني. كما استثمر الإمام الواحدي هذا العلم ليبين كيف تتغير الدلالة بحسب السياق والمقصد الشرعي.

وفيما يلي نماذج تطبيقية توضّح هذا التكامل:

النموذج الأول: قوله تعالى:

{اللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ} [البقرة: 15]

ذكر الواحدي في تفسير قوله تعالى: {اللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ} قول جماعة من أهل المعاني فقال: "معناه: يجازيهم جزاء استهزائهم، فسمّى الجزاء باسم المجازى عليه"، ثم مثّلوا لذلك بقوله تعالى: {وَجَزَاءُ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِثْلُهَا} [الشورى: 40]، وقوله: {فَمَنِ اعْتَدَى عَلَيْكُمْ فَاعْتَدُوا عَلَيْهِ} [البقرة: 194]، وكذلك قول الشاعر: "فنجهل فوق جهل الجاهلينا"[24]/[25].

ويُفهم من هذا أن التفسير اعتمد هنا على أسلوب المجاز العقلي الذي يُطلق فيه اسم الفعل على نتيجته، وهو ما يعرف في علم المعاني بتسمية الشيء باسم ما كان سببه أو نتيجته، وقد رجّح الواحدي هذا التأويل بقوله: "وهذا هو الاختيار؛ لأنه حمل الكلام على المزاوجة، ولأنه أظهر وأشكل بما جاء من نظائره في القرآن، وكل ذلك على المجاز الذي يحسن في الاستعمال للمبالغة في البيان والتصرف في الكلام"[26].

وبذلك يتجلى التكامل بين علم التفسير وعلم المعاني والدلالة من خلال اعتماد الواحدي على قواعد دلالية وبلاغية في تحليل النص القرآني وفهم مراميه، مع توظيف شواهد قرآنية وشعرية تُعزز هذا الفهم.

النموذج الثاني: قوله تعالى:

{وَمَا تِلْكَ بِيَمِينِكَ يَا مُوسَى} [طه: 17]

جمع الواحدي في تناوله لهذه الآية بين تحليل المبنى اللغوي والدلالة البلاغية على النحو الآتي:

أولًا: بيّن الواحدي –نقلًا عن أبي إسحاق الزجاج– "{تِلْكَ} اسم مبهم يجري مجرى التي، ويوصل كما توصل التي ، المعنى: ما التي بيمينك"[27]. وتحتاج إلى صلة تُزيل الإبهام، وبيّن أن هذه الصلة في الآية هي {بيمينك}، مشيرًا إلى أن "تلك" على هذا القول بمعنى "التي"، وعلى رأي الفراء: معنى: {تِلْكَ} هذه"[28]. مما يدل على توظيف القاعدة المعروفة في علم المعاني بأن المبهم لا يتم معناه إلا بصلته، وهي قاعدة أصيلة في باب الإيضاح والتفسير ضمن هذا العلم.

ثانيًا: أشار الواحدي إلى مقولة أهل المعاني الذين اعتبروا أن الاستفهام في قوله تعالى: {وما تلك بيمينك} ليس طلبًا للعلم، وإنما غرضه التنبيه على العصا، والتثبيت عليها، والتأمل فيها قبل وقوع المعجزة بها. وهذا تأصيل دقيق لأغراض الاستفهام البلاغي، كما يدرسه علم المعاني، والذي يُعنى بالكشف عن المقاصد المتعددة للأساليب الإنشائية الخارجة عن ظاهرها.[29]

ثالثًا: أوضح أبو إسحاق وجهًا بلاغيًا آخر، وهو أن هذا الأسلوب يجري مجرى التقرير والتثبيت للحجة، فقال: "هذا الكلام لفظه لفظ الاستفهام ومجراه في الكلام مجرى ما يُسأل عنه، ويجيب المخاطب بالإقرار به لتثبت عليه الحجة بعد ما اعترف، فيُستغنى بإقراره عن أن يجحد بعد وقوع الحجة"[30].

وهذا الاستعمال يُعد من أبرز الخصائص الحجاجية في علم المعاني، وهو ما يعرف ببناء الحجة على الإقرار لتثبيت الدعوى وتأكيدها.

يتبين من هذا المثال أن الواحدي لم يكتف بالعرض التفسيري للفظ، بل استعان بأدوات علم المعاني في تحليل المبهم، وتحديد غرض الاستفهام، وتوضيح وظيفة التقرير في بناء الحجة، مما يكشف عن تكامل معرفي دقيق بين علوم اللغة وعلوم التفسير في خدمتهما لبيان النص القرآني.

المطلب الرابع: التكامل بين أصول الفقه والتفسير في تفسير البسيط

أصول الفقه علم يبحث في القواعد العامة لفهم النصوص الشرعية، ويهتم بطرائق الاستنباط، ودلالات الألفاظ، وأنواع الأوامر والنواهي، والعموم والخصوص، والمطلق والمقيد، إلى غير ذلك من الأدوات التأويلية.

وقد استثمر الإمام الواحدي هذه الأدوات في تفسيره، فجمع بين تحليل الألفاظ وبين النظر المقاصدي والشرعي للنص، مما يعكس تداخلًا معرفيًا عميقًا بين التفسير وأصول الفقه.

ويمثل علم أصول الفقه القاعدة المنهجية لاستخلاص الأحكام الشرعية من النصوص، ويُعتبر التفسير شريكًا رئيسيًا في فهم الأدلة الشرعية. في تفسيره البسيط، وظف الإمام الواحدي مبادئ أصول الفقه لاستنباط الأحكام وضبط معاني النصوص، مما يعكس تكاملاً معرفيًا دقيقًا بين العلمين.

فيما يلي نماذج تطبيقية على هذا التكامل:

النموذج الأول: قوله تعالى:

قَالَ اللَّهُ جَلَّ فِي عُلاه: ﴿ فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا يُقِيمَا حُدُودَ اللَّهِ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا فِيمَا افْتَدَتْ بِهِۦ تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ فَلَا تَعْتَدُوهَاۚ وَمَنْ يَتَعَدَّ حُدُودَ اللَّهِ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾ البقرة (229).

يقول الواحدي: " {فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا} أي: عَلِمْتُم وغَلَب على ظنكم، (أن لا يقيما حدود الله) في حسن العشرة وجميل الصحبة {فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا فِيمَا افْتَدَتْ بِهِ} المرأةُ نفسَها من الزوج.

وإنما قال: {فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا} والمقصودُ رفعُ الحرجِ عن الزوجِ في استرجاع المَهْرِ عند الخُلْع، لأنه لو خصَّ الرجلَ بالذكر لأوهم ذلك أنها عاصية بالنشوز والافتداء بالمال، لأنها ممنوعة من إتلاف المال بغير حق، فأدخلت في الذِّكْر ليزول هذا الوهم، وفيه وجوه سوى هذا ذكرناها في قوله: {فَمَنْ تَعَجَّلَ فِي يَوْمَيْنِ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ} [البقرة: 203].

وقوله تعالى: {تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ} الآية. يريد: ما حده الله من شرائع الدين. وذكرنا معنى الحد فيما تقدم.

وقوله تعالى: {وَمَنْ يَتَعَدَّ حُدُودَ اللَّهِ} إلى آخر الآية، قال عطاء: يريد: من يأخذ من أمرأته شيئًا وليست تريد أن تختلع منه، ويضارها ليأخذ منها شيئًا"[31].

في هذا النص التفسيري، تتجلى أوجه التكامل المعرفي بين علم التفسير وأصول الفقه من خلال استحضار الواحدي لقواعد أصولية، وبيان عللها ومقاصدها، مع تفسير الألفاظ القرآنية، وسنذكر نماذج مما ذكره في هذا النص من القواعد:

النموذج الأول: اعتبار غلبة الظن في الأحكام يقول الواحدي: "فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا: أي: عَلِمْتُم وغَلَب على ظنكم" هنا يفسر "الخوف" بمعنى العلم أو غلبة الظن، وهو استعمال أصولي شائع في بناء الأحكام، إذ تُبنى كثير من الأحكام الشرعية على غلبة الظن لا على اليقين، ما يُعد مثالًا للتكامل بين التفسير وأصول الفقه من جهة اعتبار الظن في مناطات الحكم.

النموذج الثاني: رفع الحرج والعموم في الخطاب قال الواحدي: "وإنما قال: {فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا} والمقصودُ رفعُ الحرجِ عن الزوجِ في استرجاع المَهْرِ عند الخُلْع، لأنه لو خصَّ الرجلَ بالذكر لأوهم ذلك أنها عاصية بالنشوز والافتداء بالمال، لأنها ممنوعة من إتلاف المال بغير حق، فأدخلت في الذِّكْر ليزول هذا الوهم"

هذا التعليل يُبرز القاعدة الأصولية في تعميم الخطاب لدفع الإيهام، ويعكس معرفة المفسر بمقاصد الشريعة وعلل التشريع، حيث بيّن أن تعميم الخطاب في رفع الجناح عن الزوجين كليهما دفعًا للوهم في الحكم.

النموذج الثالث: مفهوم "حدود الله" وربطه بالتشريع قال: "وقوله تعالى: {تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ} الآية. يريد: ما حده الله من شرائع الدين"

يفسر الحدود بمعنى "شرائع الدين"، وهو اصطلاح فقهي أصولي يدل على القواعد التي لا يجوز تجاوزها، مما يعكس استحضار المفسر للمصطلحات الأصولية في ضبط معنى النص القرآني.

النموذج الرابع: النهي عن التحايل على الأحكام قال الواحدي: "قال عطاء: يريد: من يأخذ من امرأته شيئًا وليست تريد أن تختلع منه، ويضارها ليأخذ منها شيئًا"

هذا يوضح مقصدًا شرعيًا من النهي عن تعدي الحدود، وهو التحايل والإضرار في طلب الفداء، ويعدّ هذا من التكامل مع أصول الفقه في باب سد الذرائع وتحقيق العدل ورفع الضرر.

الخلاصة:

يتضح من خلال هذا النص أن الواحدي لا يكتفي بشرح الألفاظ، بل يستنطق النص القرآني من خلال قواعد أصولية مثل:

بناء الحكم على غلبة الظن.

رفع الحرج ودفع الوهم.

التعليل الشرعي والربط بالمقاصد.

سد الذرائع ورفض التحايل.

كل ذلك يمثل نموذجًا راقيًا للتكامل بين علم التفسير وأصول الفقه.

النموذج الثاني: قوله تعالى:

قَالَ سُبْحَانَهُ وتَعَالَى: ﴿وَأَتِمُّوا الْحَجَّ وَالْعُمْرَةَ لِلَّهِ فَإِنْ أُحْصِرْتُمْ فَمَا اسْتَيْسَرَ مِنَ الْهَدْيِ﴾ البقرة (196).

في تفسير قوله تعالى: {فَإِنْ أُحْصِرْتُمْ}، لم يقتصر الواحدي على بيان المعنى اللغوي، بل استثمر القواعد الأصولية في تحليل الخلاف الفقهي حول المراد بالإحصار. فقد بيّن قول الفَرّاء في دلالة اللفظ بقوله: "يقال للذي يمنعه خوف أو مرض: أُحْصِر، ولمن حُبِسَ قهرًا: حُصر، فإن نويت بقهر السلطان أنها عِلّةٌ مانعةٌ ولم يذهب إلى فعل الفاعل جاز فيه أُحصر، وإن نويت في العلة أنها حبسته جاز حُصر"[32].

وهو ما يعكس أثر دلالة اللفظ المشترك في تحديد الحكم الشرعي، وهو مسلك أصولي دقيق في استثمار النية والمعنى السياقي لتحديد مدلول اللفظ.

ثم بيّن أن أصل الباب في اللغة هو الحَبْس، فقال: "وأصل الباب: الحبس"، مما يُبرر مذهب أهل العراق في تعميم الإحصار على كل مانع، إذ قال: "فمذهب أهل العراق: أن كل مانع منع المحرم عن الوصول إلى البيت... فإنه يقيم مكانه على إحرامه... واحتجوا بأن الإحصار من طريق اللفظ عام في كل مانع" وفي هذا توظيف لقاعدة: "العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب".

في المقابل، عرض الواحدي مذهب أهل الحجاز والشافعي، الذي قيد الإحصار بحصر العدو، استنادًا إلى سبب النزول وسياق الآية، حيث قال: "أن الحكم المتعلق بالإحصار إنما يتعلق بحبس العدو... والدليل على هذا سبب النزول... قوله في سياق الآية: {فَإِذَا أَمِنتُمْ} ولم يقل: فإذا أندملتم"، وهو استدلال بالقواعد الأصولية القائلة: "السياق مخصص للعام"، و"خصوص السبب قد يخصص العموم إذا اقترنت به قرينة صارفة".

واستكمل الواحدي استدلاله بنقل أقوال الصحابة، فقال: "وذكرنا عن ابن عباس أنه قال: لا حصر إلا حصر العدو"، وهو اعتماد على قول الصحابي في تفسير النص، بوصفه من الأدلة التفسيرية المعتبرة أصوليًا"[33].

المطلب الخامس: التكامل بين علم القراءات والتفسير في تفسير البسيط

علم القراءات يُعنى بدراسة الأوجه المختلفة لنطق ألفاظ القرآن الكريم، والتي ثبتت عن النبي صلى الله عليه وسلم بالتواتر. وهذه الأوجه القرائية ليست مجرد تنوع في الأداء، بل لها آثار دلالية وتفسيرية عميقة، وقد يستند التفسير أحيانًا إلى قراءة معينة لتبيين معنى أو لحلّ إشكال لفظي أو نحوي. وهو علم ضروري لفهم دقة النص القرآني، ومعانيه المتعددة التي تتفاوت بحسب اختلاف القراءات والإمام الواحدي في تفسيره البسيط كان يُولي القراءات القرآنية أهمية بارزة، إذ أدرجها ضمن تفسيره، وناقش توجيهها النحوي والدلالي، وربطها بالمعاني والسياقات المختلفة.

وفيما يلي نماذج تطبيقية تبين هذا التكامل:

النموذج الأول: قوله تعالى:

قَالَ اللَّهُ جَلَّ فِي عُلاه: ﴿وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ النِّسَاءِ إِلَّا مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ﴾ النساء (24).

في تفسير قوله تعالى: {وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ النِّسَاءِ}، استثمر الواحدي اختلاف القراءات القرآنية في الكشف عن المعاني الدقيقة للفظ "المحصنات"، وما يترتب على ذلك من أحكام شرعية متعلقة بالنكاح والسبي والتحليل والتحريم. وقد أشار إلى هذا التكامل بقوله: "واختلف القراء في: {الْمُحْصَنَاتُ} فقرأوا بفتح الصاد وكسرها في جميع القرآن، إلا التي في هذه الآية، فإنهم اجتمعوا على الفتح فيها. فمن قرأ بالكسر جعل الفعل لهن، ومن قرأ بالفتح جعل الفعل لغيرهن"[34]. مما يدل على أن الفتح يُفيد أن الإحصان وقع من غيرهن (أي الأزواج)، والكسر يُفيد أنهن هن اللاتي أحصنّ أنفسهن بالعفة أو الإسلام.

وقد وظّف الواحدي هذا الاختلاف في توجيه دلالات الآية، حيث قال: "قال أبو عبيد: اجتمع القراء على نصب الصاد في الحرف الأول من النساء؛ لأن تأويلها ذوات الأزواج يُسبين فيُحلهن السِباء تُوطأ بملك اليمين، وينتقض نكاحهن"[35]، مما يعني أن القراءة المتفق عليها في هذا الموضع هي قراءة تفسيرية توجيهية، تُعين على تعيين نوع الإحصان المذكور في الآية، وهو إحصان النكاح لا العفاف أو الحرية أو الإسلام.

وقرن الواحدي ذلك ببيان لغوي وصرفي يُعزز القراءة، فقال: "وقال الليث: أُحصِنت المرأة فهي محصنة، وهي التي أحصنها زوجها، وهن المُحصَنات، والمعنى أنهن أُحصِنّ بأزواجهن"[36]، مبينًا أثر الاشتقاق والبناء الصرفي في توجيه القراءة، حيث إن القراءة بالفتح تتسق مع البناء للمجهول الذي يقتضي إحصانًا واقعًا من الغير (الزوج)، بينما الكسر يدل على الفاعلية الذاتية للإحصان (العفة أو الإسلام).

ولم يكتفِ الواحدي بذلك، بل أورد توجيهًا نحويًا نادراً لدعم سلامة القراءة، فقال: "كلام العرب كله على: أفعل فهو مفعل، إلا ثلاثة أحرف: أحصن فهو محصن، وألفج فهو ملفج، وأسهب فهو مسهب"[37]. في إشارة إلى فصاحة القراءات القرآنية وارتباطها بأعلى طبقات اللغة العربية، حتى وإن خرجت عن القياس الشائع.

واستنادًا إلى هذه المعطيات، خلص الواحدي إلى أن الإحصان في هذه الآية لا يمكن حمله على الحرية أو الإسلام أو العفة، بل يتعين حمله على الإحصان بالنكاح، فقال: "ولا يمكن حمل المحصنات في هذه الآية على الحرائر، ولا على المسلمات، ولا على العفائف؛ لأن التحريم محالٌ في هذه الأجناس، فتعين حملها على الوجه الرابع وهو المنكوحة"[38]. مما يؤكد أن القراءة المتفق عليها هنا لها وظيفة تفسيرية وتقييدية للمعنى العام.

النموذج الثاني: قوله تعالى:

قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَمَا يَعْزُبُ عَنْ رَبِّكَ مِنْ مِثْقَالِ ذَرَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ وَلَا أَصْغَرَ مِنْ ذَٰلِكَ وَلَا أَكْبَرَ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ﴾ يونس(61).

أشار الواحدي إلى وجود قراءتين في لفظي {أَصْغَرَ} و*{أَكْبَرَ}*، فقال:

"ويقرآن بالرفع... فمن نصبهما فإنما يريد الخفض يُتبعهما المثقال أو الذرة، ومن رفعهما أتبعهما معنى المثقال؛ لأنك لو ألقيت من المثقال (من) كان رفعًا، وهو كقولك: ما أتاني من أحد عاقلٍ وعاقلٌ.[39]"

وقد توسع أبو علي الفارسي في بيان ذلك، موضحًا أن من فتح الراء جعلهما صفة للفظ مجرور (مثقال)، ومن رفع الراء جعلهما تابعين لموضع المجرور (في محل رفع)، فقال:

"من فتح الراء... فلأن (أفعل) في موضع جر؛ لأنه صفة للمجرور الذي هو (مثقال)... ومن رفع حمله على موضع الموصوف"[40].

يظهر في هذا الموضع أن الواحدي:

استثمر اختلاف القراءات (النصب/الرفع) لتوجيه المعنى. وبذلك يتحقق التكامل المعرفي بين:

علم التفسير: من حيث بيان المعنى العام.

علم القراءات: من حيث تباين اللفظ ودلالته.

علم أصول التفسير: في ضبط قواعد التعامل مع تعدد القراءات وأثرها في بناء المعنى.

المبحث الثالث

خصائص التكامل المعرفي في تفسير البسيط

يمثل تفسير البسيط للواحدي نموذجًا متكاملاً لارتباط علوم اللغة وعلوم الشريعة الإسلامية، ويتميز بعدة خصائص معرفية بارزة جعلت منه مرجعًا متميزًا في مجال التفسير، ومنها:

1. شمولية الرؤية المعرفية حيث يُظهر التفسير اهتمامًا متوازنًا بين الجوانب اللغوية (النحو، البلاغة، المعاني، الدلالة) والجوانب الشرعية (أصول الفقه، القراءات، مقاصد الشريعة)، مما يؤمن فهمًا متكاملاً للآيات القرآنية، فلا يغلب جانب على آخر بل تُدار بوعي متكامل.

2. الاعتماد على الأدلة النصية والقواعد المنهجية ينطلق تفسير البسيط من النص القرآني نفسه، مع مراعاة قواعد أصول الفقه، علم القراءات، وعلم المعاني، حيث لا يترك تفسير الآية بلا سند أو مبرر علمي، ويشرح آليات استنباط الأحكام، بعيدًا عن التأويل العشوائي، مما يعزز موثوقية التفسير وعمقه.

3. الاهتمام بالنماذج التطبيقية يستخدم الواحدي كثيرًا من النماذج العملية في تفسيره، سواء في النحو، البلاغة، المعاني، أو أصول الفقه، مما يجعل التفسير عمليًا يسهل تطبيقه وفهمه.

4. احترام التنوع القرائي يحترم التعدد القرائي دون تعصب لقراءة واحدة، ويبين أثر كل قراءة في تفسير الآية، مع اختيار التفسير الأنسب بحسب السياق، ويجمع بينها في تفسيره دون تكلف أو تعصب.

5.التركيز على مقاصد الشريعة يولي تفسير البسيط أهمية كبيرة لمقاصد الشريعة في فهم النص القرآني، حيث يُفسر النصوص بما يحقق الحكمة والمصلحة العامة، متجنبًا الفهم الحرفي الضيق.

الخاتمة

في ختام هذا البحث، يتضح لنا أن تفسير البسيط للإمام الواحدي يمثل نموذجًا متقدمًا للتكامل المعرفي بين علوم اللغة العربية وعلوم الشريعة الإسلامية. فقد أثبتت الدراسة أن هذا التكامل ليس مجرد جمع عشوائي، بل هو تفاعل منهجي يحقق فهمًا عميقًا ومتوازنًا للنص القرآني، يجمع بين دقة اللفظ، وبلاغة البيان، ودقة الأحكام الشرعية، وتنوع القراءات القرآنية.

كما بين البحث أن تفسير الواحدي يرسخ مفاهيم مقاصد الشريعة، ويوازن بين التراث والتجديد، ويدعو إلى فهم شامل يتجاوز الحرفية الضيقة، مما يجعله مرجعًا مهمًا للباحثين والدارسين في علوم القرآن والتفسير.

نأمل أن تسهم نتائج هذا البحث في إحياء ودعم جهود التكامل المعرفي في الدراسات الإسلامية، وتحفيز المزيد من الدراسات التي تعزز منهجية البحث العلمي في هذا المجال الحيوي.

النتائج:

بعد دراسة وتحليل التكامل المعرفي بين علوم اللغة العربية وعلوم الشريعة الإسلامية في تفسير البسيط للواحدي، توصل البحث إلى عدة نتائج رئيسية، يمكن إجمالها فيما يلي:

1. يظهر تفسير البسيط تكاملاً عميقًا بين علوم اللغة وعلوم الشريعة، حيث لا يقتصر على شرح المعاني اللفظية بل يمتد لاستنباط الأحكام الشرعية والغايات الشرعية، معتمداً على مناهج علمية دقيقة من كلا العلمين.
2. يجمع الإمام الواحدي بين دقة النحو والبلاغة، وفهم أصول الفقه والقراءات، مما يجعله نموذجًا في الجمع بين العلوم دون تفريط أو تعطيل لأحدهما.
3. استخدام القراءات المختلفة يثري التفسير ويوسع دائرة الفهم، ويبرز تنوع المعاني التي تحملها النصوص القرآنية، مما يؤكد أن الفهم القرآني متعدد الأبعاد.
4. يتسم التفسير البسيط بالدقة والموضوعية، مستفيدًا من قواعد أصول الفقه والمنطق اللغوي، ومتفادى التفسيرات العشوائية أو التأويلات غير المدروسة.
5. يظهر في التفسير البسيط اهتمام واضح بتحقيق المصلحة وبيان الحكمة الشرعية، مما يعزز الأبعاد الأخلاقية والاجتماعية للنص القرآني.
6. عبر الجمع بين مختلف العلوم، يجعل تفسير البسيط النص القرآني أكثر وضوحًا وشمولًا، ويخدم القارئ المتخصص والباحث على حد سواء.

التوصيات: استنادًا إلى نتائج البحث، يُوصى بما يلي:

1. ضرورة المزيد من الدراسات التي تتناول التفاعل بين علوم اللغة وعلوم الشريعة، خاصة في التراث التفسيري الإسلامي.
2. على المفسرين والباحثين تطوير مناهج تعتمد على التكامل العلمي بين اللغوي والفقهي والقرائي، لتقديم تفسير متوازن وعلمي.
3. إدراج مقررات جامعية تعنى بالتكامل بين علوم اللغة وعلوم الشريعة ضمن المناهج، لتأهيل باحثين قادرين على معالجة النص القرآني بعمق.
4. تفعيل دور علم القراءات في التفسير، وعدم تجاهل تنوعها وتأثيرها على فهم النص القرآني.
5. استلهام تجارب التراث مثل تفسير الواحدي التي جمعت بين علوم متعددة، لتكون منطلقًا لتطوير التفسير المعاصر.
6. إعداد ترجمات وشرح مبسط للتكامل المعرفي لتعميم الفائدة على أوسع قاعدة من القراء والباحثين غير المتخصصين.

بيانات الإفصاح:

- **الموافقة الأخلاقية والموافقة على المشاركة:** تم الاتفاق على المشاركة في البحث وفقاً للإرشادات الخاصة بالمجلة.
- **توافر البيانات والمواد:** كافة البيانات والمواد متاحة عند الطلب.
- **مساهمة المؤلفين:** يتحمل المؤلفين مسؤولية كافة محتويات البحث والتحليل والمنهجية والمراجعة الكاملة.
- **تضارب المصالح:** لا يوجد تضارب في المصالح لأي طرف من خلال تصميم البحث وتقديمه وتقييمه.
- **التمويل:** لا يوجد أي تمويل مخصص لهذا البحث.

شكروتقدير: الشكر الجزيل لأكاديمية التطوير العلمي ومجلة المؤتمرات العلمية (JSC) على الدعم والإرشادات. (/https://sdasmart.org/jsconf)

المراجع

القرآن الكريم، الرسم العثماني، رواية حفص عن عاصم، نسخة المدينة.

أبو سليمان، عبد الحميد، أزمة العقل المسلم: نحو مخرج من التحدي الحضاري، المعهد العالمي للفكر الإسلامي، 1994.

أبو علي الفارسي، الحسن بن أحمد بن عبد الغفار (ت 377هـ)، الحجة للقراء السبعة، تحقيق: بدر الدين قهوجي، دار المأمون للتراث - دمشق / بيروت، ط2، 1413هـ

الأزهري، محمد بن أحمد (الهروي)، أبو منصور (ت 370هـ)، تهذيب اللغة، تحقيق: محمد عوض مرعب، دار إحياء التراث العربي، بيروت.

ابن خلكان، أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن إبراهيم (ت 681هـ)، وفيات الأعيان، تحقيق: إحسان عباس، دار صادر، بيروت.

ابن منظور، محمد بن مكرم بن على، أبو الفضل، جمال الدين (ت 711هـ)، لسان العرب (الحواشي: لليازجي وجماعة من اللغويين)، دار صادر – بيروت، ط 3 - 1414 هـ

البغدادي، عبد القادر بن عمر (ت 1093هـ)، خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط:4، 1418 هـ - 1997 م.

البيهقي، أبو بكر أحمد بن الحسين (384 - 458 هـ)، شعب الإيمان، تحقيق: د. عبد العلي عبد الحميد حامد [ت 1443 هـ]، مكتبة الرشد للنشر والتوزيع بالرياض، ط1: 1423 هـ - 2003 م.

الرازي، فخر الدين، أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسن (ت 606هـ)، مفاتيح الغيب، دار إحياء التراث العربي – بيروت، ط3 - 1420 هـ

رؤبة بن العجاج، رؤبة بن عبد الله التميمي (ت:145هـ)، ديوان رؤبة بن العجاج، دار الكتب المصرية.

الزجاج، إبراهيم بن السري بن سهل، أبو إسحاق (ت 311هـ)، معاني القرآن وإعرابه، تحقيق: عبد الجليل عبده شلبي، عالم الكتب – بيروت، ط 1، 1408 هـ - 1988 م.

الزركشي، أبو عبد الله بدر الدين محمد (ت 794 هـ)، البرهان في علوم القرآن، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم [ت 1401 هـ]، دار إحياء الكتب العربية، ط1، 1376هـ - 1957م.

السمعاني، أبو سعد عبد الكريم بن محمد، الأنساب.

السيوطي، جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر (ت 911هـ)، المزهر في علوم اللغة، دار الكتب العلمية بيروت، ط1، 1418هـ - 1998م.

الشافعي، أبو عبد الله محمد بن إدريس (ت: 204هـ)، الرسالة، تحقيق: أحمد شاكر، مكتبه الحلبي، مصر، ط:1، 1358هـ/1940م.

طه عبد الرحمن، تجديد المنهج في تقويم التراث، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، ط2.

الفراء، أبو زكريا يحيى بن زياد (ت 207هـ)، معاني القرآن.

الفيروزآبادى، مجد الدين أبو طاهر محمد بن يعقوب (ت 817هـ)، القاموس المحيط، تحقيق: مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة، مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت – لبنان، ط 8، 1426 هـ - 2005 م.

ملكاوي، فتحي حسن، منهجية التكامل المعرفي: مقدمات في المنهجية الإسلامية، المعهد العالمي للفكر الإسلامي، الطبعة الأولى، 2011.

النجار، عبد المجيد، التكامل المعرفي من منظور إسلامي، المعهد العالمي للفكر الإسلامي، 2003.

الواحدي، أبو الحسن علي بن أحمد (ت 468 هـ)، التفسير البسيط، ط1، 1430هـ

Bibliography

The Holy Qur'an .Uthmani Script, Hafs narration from Asim, Madinah Edition.

Abd al-Rahman, Taha .*Tajdid al-Manhaj fi Taqwim al-Turath* [Renewing the Method in Evaluating Heritage]. 2nd ed., Arab Cultural Center, Casablanca.

Abu Sulayman, AbdulHamid .*Azmat al-'Aql al-Muslim :Nahwa Mukhraj min al-Tahaddi al-Hadari* [The Crisis of the Muslim Mind: Towards a Way Out of the Civilizational Challenge]. International Institute of Islamic Thought (IIIT), 1994.

Al-Azhari, Abu Mansour Muhammad ibn Ahmad (al-Harawi) .*Tahdhib al-Lughah* [Refining the Language]. Edited by Muhammad Awad Mur'ib. Dar Ihya al-Turath al-Arabi, Beirut.

Al-Baghdadi, Abd al-Qadir ibn Umar .*Khizanat al-Adab wa Lubb Labab Lisan al-Arab* [The Treasury of Literature and the Core of the Essence of the Arab Tongue]. Edited by Abd al-Salam Harun. Maktabat al-Khanji, Cairo, 4th ed., 1997.

Al-Bayhaqi, Abu Bakr Ahmad ibn al-Husayn .*Shu'ab al-Iman* [The Branches of Faith]. Edited by Dr. Abd al-Ali Abd al-Hamid Hamid. Al-Rushd Library, Riyadh, 1st ed., 2003.

Al-Farisi, Abu Ali al-Hasan ibn Ahmad .*Al-Hujjah lil-Qura' al-Sab'ah* [The Argument for the Seven Readers]. Edited by Badr al-Din Qahwaji. Dar al-Ma'mun lil-Turath, Damascus/Beirut, 2nd ed., 1413 AH.

Al-Farra', Abu Zakariya Yahya ibn Ziyad .*Ma'ani al-Qur'an*] The Meanings of the Quran.[

Al-Firuzabadi, Majd al-Din Abu Tahir .*Al-Qamus al-Muhit* [The Surrounding Ocean]. Edited by the Heritage Investigation Office. Mu'assasat al-Risalah, Beirut, 8th ed., 2005.

Al-Najjar, AbdulMajid .*Al-Takamul al-Ma'rifi min Manzur Islami* [Epistemological Integration from an Islamic Perspective]. International Institute of Islamic Thought (IIIT), 2003.

Al-Razi, Fakhr al-Din .*Mafatih al-Ghayb* [Keys to the Unseen]. Dar Ihya al-Turath al-Arabi, Beirut, 3rd ed., 1420 AH.

Al-Sam'ani, Abu Sa'd .*Al-Ansab*] The Genealogies.[

Al-Shafi'i, Abu Abdullah Muhammad ibn Idris .*Al-Risalah* [The Treatise]. Edited by Ahmad Shakir. Maktabat al-Halabi, Egypt, 1st ed., 1940.

Al-Suyuti, Jalal al-Din .*Al-Muzhir fi 'Ulum al-Lughah* [The Luminous in the Sciences of Language]. Dar al-Kutub al-Ilmiyyah, Beirut, 1st ed., 1998.

Al-Wahidi, Abu al-Hasan Ali ibn Ahmad .*Al-Tafsir al-Basit* [The Simple Exegesis]. 1st ed., 1430 AH.

Al-Zajjaj, Abu Ishaq Ibrahim .*Ma'ani al-Qur'an wa I'rabuh* [The Meanings of the Quran and its Syntax]. Edited by Abd al-Jalil Abdo Shalabi. Alam al-Kutub, Beirut, 1st ed., 1988.

Al-Zarkashi, Badr al-Din .*Al-Burhan fi 'Ulum al-Qur'an* [The Proof in the Sciences of the Quran]. Edited by Muhammad Abu al-Fadl Ibrahim. Dar Ihya al-Kutub al-Arabiyyah, 1st ed., 1957.

Ibn Khallikan, Abu al-Abbas .*Wafiyat al-A'yan* [Obituaries of Eminent Men]. Edited by Ihsan Abbas. Dar Sader, Beirut.

Ibn Manzur, Jamal al-Din .*Lisan al-Arab* [The Arab Tongue]. Annotated by Al-Yaziji et al. Dar Sader, Beirut, 3rd ed., 1414 AH.

Malkawi, Fathi Hasan .*Manhajiyat al-Takamul al-Ma'rifi* [Methodology of Epistemological Integration]. International Institute of Islamic Thought (IIIT), 1st ed., 2011.

Ru'bah ibn al-'Ajjaj .*Diwan Ru'bah ibn al-'Ajjaj* .Dar al-Kutub al-Misriyyah.

الهوامش:

(1) الزركشي، أبو عبد الله بدر الدين محمد بن عبد الله بن بهادر، المتوفي سنة (ت 794 هـ)، البرهان في علوم القرآن، ق، محمد أبو الفضل إبراهيم [ت 1401 هـ]، دار إحياء الكتب العربية، ط1376،1هـ - 1957م (ج1، ص5)

(2) الزركشي، أبو عبد الله بدر الدين محمد بن عبد الله بن بهادر، المتوفي سنة (ت 794 هـ)، البرهان في علوم القرآن، ق، محمد أبو الفضل إبراهيم [ت 1401 هـ]، دار إحياء الكتب العربية، ط1376،1هـ - 1957م (ج1، ص5)

(3) البيهقي، أبو بكر أحمد بن الحسين (384 - 458 هـ) *شعب الإيمان*، تحقيق، د عبد العلي عبد الحميد حامد [ت 1443 هـ]، مكتبة الرشد للنشر والتوزيع بالرياض، ط1: 1423 هـ - 2003 م، (543/3)

(4) طه عبد الرحمن، *تجديد المنهج في تقويم التراث*، ط2، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، (ص: 94)

[5] ابن منظور، محمد بن مكرم بن على، أبو الفضل، جمال الدين (ت 711هـ)، الحواشي: لليازجي وجماعة من اللغويين، دار صادر – بيروت ط 3 - 1414 هـ ، ص 3930.

[6] الفيروزآبادى، مجد الدين أبو طاهر محمد بن يعقوب (ت 817هـ)، ت ق: مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة، مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت – لبنان، ط 8، 1426 هـ - 2005 م، ص 1054.

[7] الزجاج، إبراهيم بن السري بن سهل، أبو إسحاق (ت 311هـ)، معاني القرآن وإعرابه، ت ق: عبد الجليل عبده شلبي، عالم الكتب – بيروت، ط 1، 1408 هـ - 1988 م، (148/2)

[8] ينظر: ملكاوي، فتيح حسن، منهجية التكامل المعرفي: مقدمات في المنهجية الإسلامية، المعهد العالمي للفكر الإسلامي، الطبعة الأولى، 2011، (ص: 25 - 28).

[9] ينظر: النجار، عبد المجيد، التكامل المعرفي من منظور إسلامي، المعهد العالمي للفكر الإسلامي، 2003، (ص: 15).

[10] ينظر: أبو سليمان، عبد الحميد، أزمة العقل المسلم: نحو مخرج من التحدي الحضاري، المعهد العالمي للفكر الإسلامي، 1994، (ص: 101).

[11] ينظر: السيوطي، عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي (ت 911هـ)، المزهر في علوم اللغة، ط1، 1418هـ 1998م، دار الكتب العلمية بيروت، (ج1، ص36).

[12] الشافعي، أبو عبد الله محمد بن إدريس بن العباس بن عثمان بن شافع بن عبد المطلب بن عبد مناف المطلبي القرشي المكي (المتوفى: 204هـ)، الرسالة، ت ق: أحمد شاكر، مكتبه الحلبي، مصر، ط:1، 1358هـ/1940م ، (ص 34)

[13] ابن خلكان، أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن إبراهيم بن أبي بكر ابن خلكان البرمكي الإربلي (ت 681هـ)، وفيات الأعيان، ق: إحسان عباس، دار صادر، بيروت، (ج3، ص239)

[14] السمعاني، الأنساب، (ج11، ص14)

[15] الواحدي، أبو الحسن علي بن أحمد بن محمد الواحدي (ت 468 هـ)، ط1، 1430هـ، التفسير البسيط، (307/2)

[16] رؤبة بن عبد الله العجاج التميمي، ت:145هـ، دار الكتب المصرية، ديوان رؤبة بن العجاج، ص25.

[17] الواحدي، البسيط، (207/8)

[18] الواحدي، البسيط، (255/11)

[19] مفاتيح الغيب، أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي الرازي الملقب بفخر الدين الرازي خطيب الري (ت 606هـ)، دار إحياء التراث العربي – بيروت، ط3 - 1420 هـ، 280/17.

[20] البغدادي، عبد القادر بن عمر (ت 1093هـ)، خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب، ق:عبد السلام محمد هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط:4، 1418 هـ - 1997 م (465/1)، البسيط، (255/11).

[21] البسيط، (450/21)

[22] البسيط، (450/21)

[23] البسيط، (442/23)

[24] البسيط، (171/2)

[25] بحثت عنه فلم أجده بهذا النص عند أهل المعاني.

[26] البسيط، (172/2)

[27] معاني القرآن" للزجاج 3/ 353.

[28] معاني القرآن" للفراء 2/ 177.

[29] ينظر: البسيط، (378/14)

[30] معاني القرآن وإعرابه، (354/3)

[31] التفسير البسيط (231/4)

[32] البسيط، (10/4)

[33] ينظر: البسيط (12-11/4)

[34] البسيط (432/6)

[35] الهروي: محمد بن أحمد بن الأزهري الهروي، أبو منصور (ت 370هـ)، تهذيب اللغة، ت: ق محمد عوض مرعب، دار إحياء التراث العربي، بيروت، (144/4)

[36] البسيط (433/6)

[37] البسيط (434/6)

[38] البسيط (435/6)

[39] البسيط (243/11)

[40] الحجة للقراء السبعة، الحسن بن أحمد بن عبد الغفار الفارسيّ الأصل، أبو علي (ت 377هـ)، ق: بدر الدين قهوجي، دار المأمون للتراث - دمشق / بيروت، ط2، 1413هـ، 285/4.